تداوليات الخطاب الإداري في رسالة الخليفة المنتصر بالله إلى الجند والعامة والخاصة

أ. فريدة لعبيدي
قسم اللغة العربية وآدابها
جامعة باجي مختار-عنابة

ملخص

شكّلت الرسالة الديوانية في العصر العباسي، مظهرا من مظاهر تطوّر المجتمع الإسلامي وتطوّر فن الكتابة النثريّة، وهي التي تكتب في أغراض سياسية ورسمية. ولا تحتاج الرسالة الديوانية إلى رد؛ فتكون كوثيقة قرار تحتاج إلى تنفيذ فقط . وللسياق بنوعيه اللغوي والتلفظي دور في إجلاء المعنى، وعادة ما يكون المرسِل في الرسالة الديوانية من السلطة الحاكمة؛ لذا يكثر استعمال الإستراتيجية التوجيهية، وهي من النصوص التراثية التي ما تزال في حاجة إلى تمحيص لما تحتويه من مضامين ومظاهر لغوية ووظائف تداوليّة مثيرة للاهتمام.

الكلمات المفاتيح: تداولية، سياق، استراتيجية، رسالة ديوانية، عصر عباسي.

Pragmatique du discours administratif dans le message du calife ELMONTASSER BILLAH aux soldats, public et élite

Résumé

La correspondance officielle durant l'époque Abbasside (les lettres de Diwania) était la preuve du développement de la société islamique et de l'évolution de la rédaction en prose. Ce style a été utilisé à des fins officielles et politiques. En outre, les deux types de contextes (linguistique et phonétique) jouent un rôle dans la clarification du sens. Habituellement, l'expéditeur de ces lettres était un homme du pouvoir, ce qui explique le recours aux formes impératives. Les lettres, objet de notre étude, constituent un riche patrimoine culturel qui méritent une étude à la fois pragmatique et linguistique.

Mots clés: Pragmatique, contexte, stratégie, lettre de diwania, période abbasside.

Pragmatics of administrative discourse in the message of Caliph ELMONTASSER BILLAH sent to soldiers, public and elite.

Abstract

Formal correspondence (Diwania Letters) during the Abbassid era was an important evidence on the Islamic society development. Those prosaic writings were used in political and official correspondance, they occurred in two contexts (political and phonetic) which have both layed an important role in clarifying the meaning. The sender of such letter is generally a ruler, this explains the frequency of orders; letters that are studied in this context constitute an important cultural heritage that deserves a pragmatic and linguistic analysis.

Keywords: Pragmatic, context, strategy, diwania letter, the abbasid period.

مقدمة

لم تعد الدراسات اللغوية تقتصر على دراسة اللغة وهي في حالة استقرارها، أو دراسة تلك الترسانة اللغوية الموجودة في المعاجم أو النصوص المكتوبة، بل إنّ فكرة (كل شيء أصبح خطابا) ساهمت في دراسة العديد من الظواهر اللغوية، فدراسة اللغة في الاستعمال موكولة إلى بنيتها ووظيفتها؛ أي من خلال الدلالة والتداول، وبعبارة أخرى دراستها من خلال الجمع بين الجانب اللساني والجانب الوظيفي، وقد اتسعت دائرة المقاربة بمختلف المناهج اللسانية الحديثة، أين مست مجمل الخطابات، خاصة الخطابات النفعية التي لها دور في الحركة التطورية للمجتمعات والميسرة والمنظمة لحياة الأفراد فيها، مثل الخطاب الرسائلي الإداري الذي هو موضوع دراستنا في هذا البحث وبالتحديد الرسائل الديوانية في العصر العباسي آخذين بمبادئ المنهج التداولي، مبرزين نجاعة المقاربة التداولية للنصوص التراثية، وهو ما سنستهل به هذه المقطوعة البحثية، ثم نعرج للوقوف على ماهية الرسالة الديوانية وأهم خصائصها.

1- مقاربة المنهج التداولي للنص التراثي:

يعد المنهج التداولي من أنسب المناهج لمقاربة أي نص نفعي له آثار مخصوصة على حركة المجتمع وتطوره، و الخطاب في الرسالة الديوانية نفعي خاصة من جهة المتلقي ويساهم في ضبط شؤون العامة والخاصة وتسييرها في المجتمع، كما يساهم في تنظيم شؤون الدولة داخلا و خارجا، ويحدد ما للفرد من حقوق، وما عليه من واجبات وما لا يجب تعديه . وعن قيمة المنهج التداولي على العموم يرى طه عبد الرحمن أنّه :" أهم منهج تستند إليه تقويم الدراسة التراثية لما يتميز به من قواعد محددة وشرائط مخصوصة وآليات تصورية [1] ويقول أيضا "لا سبيل إلى معرفة الممارسة التراثية بغير الوقوف على التقريب التداولي، الذي يتميز عن غيره من طرق معالجة المنقول بإسناده إلى شرائط مخصوصة يفضي عدم استيفائها إلى الإضرار بوظائف المجال التداولي، فضلا عن إسناده إلى آليات صورية محددة "[2].

لقد أجابت التداولية باستخدام آليات منهجها عن الكثير من الأسئلة المتعلقة باللغة والمحيطة بإنتاجها، كتحديد منتجها ومؤلفها وماهية الرسالة فيها والقصد من إنتاجها، والسياق المرافق لإنتاجها"[3] ومن خلالها أدركنا العديد من المفاهيم اللغوية لأنّها:"فتحت بابا جديدا لفهم اللغة مهما كان مجالها ومعرفة خصائص استعمالها؛ أي الدوافع النفسية للمتكلمين وردود أفعال المتلقين والنماذج الاجتماعية للخطاب وموضوعه [.....] وذلك بمراعاة الخصائص التركيبية و الدلالية" [4].

كما تدرس التداولية علاقة النشاط اللغوي بمستعمليه، وطرق وكيفيات استخدام العلاقات اللغوية بنجاح، والسياقات والطبقات المقامية المختلفة؛ التي ينجز ضمنها الخطاب والبحث عن العوامل التي تجعل من الخطاب رسالة تواصلية واضحة وناجحة، والبحث عن أسباب الفشل والتواصل باللغات الطبيعية .

ضف إلى ذلك أنّ الدرس اللغوي التداولي يهتم باللغة في إطار التواصل وليس بمعزل عنه، لأنّ اللغة لا تؤدي وظائفها إلاّ فيه وهي ليست وظائف مجردة [5] وتجيب عن الأسئلة التالية:

1- من المتكلم ؟ ← المرسل

2- من المتلقي ← المرسل إليه

3- ما يقول ؟ ← الرسالة

4- لأجل ماذا ← الهدف

5- ماذا يقصد ؟ ⟵ القصد

6- كيف يفسر المتلقي الرسالة ؟⟵ التأويل

فالمجال التداولي هو الذي يدرس علاقة العلامات باستعمالاتها، ومقاماتها, وأطرافها التداولية أو هو" يعنى بدراسة العلاقة بين اللغة وبين الناطقين بها والمؤولين لها"[06] وبتعبير آخر :" يمكن أن يكون موضوع التداولية هو نفس موضوع الدلالة الثابت مضاف إليه سياق الاستعمال"[7] وعليه تدرس التداولية اللغة في إطارها التواضعي؛ وهي بذلك تعنى بمنجز الخطاب والمتلقي والسياق والرسالة والقصد و التأويل، ويعد الخطاب من ضمن المسائل الهامة التي توليها التداولية اهتماما كبيرا لذا يجدر بنا الوقوف عند هذا النسق المعرفي الهام.

2- الخطاب:

تتداخل العديد من المفاهيم والدلالات في تحديد وتبيان المفهوم الكلي للخطاب، وعادة ما ترد لفظة خطاب مقرونة بأوصاف أخرى، فنجد الخطاب التراثي، والخطاب السياسي، والخطاب القضائي، والخطاب الصوفي، والخطاب الاقتصادي، والخطاب الإداري، والخطاب بذلك يجمع بين القول والفعل باعتباره جهازا غنيا واسعا في التصنيف والمعرفة مما جعله موضع اهتمام الباحثين على اختلاف مذاهبهم، ونحن العرب أولى المجتمعات بدراسة خطاباتنا المتنوعة القديمة منها والحديثة، والخطاب الرسائلي بأنواعه من الخطابات التراثية العربية التي أثارت ومازالت تثير مداد العديد من المهتمين، وقبل الوقوف على ماهية الرسالة الديوانية نعرض أولا بعض المفاهيم المتعلقة بالخطاب.

1- "كل منطوق به، موجه نحو الغير بغرض إفهامه مقصودا مخصوصا "[8].

2-"كل ملفوظ، متكون يشكل وحدة تواصلية تامة"[9].

3- " إنّ كل ما شكّل وحدة تواصلية تامة عدّ خطابا، سواء تعدى الجملة أم كان جملة تركيبية أم جملة صغرى أم مركبة أم كلمة "[10].

4-" الخطاب بحسب أصل اللغة؛ توجيه الكلام نحو الغير للإفهام ثم نقل الكلام الموجه نحو الغير للإفهام، وقد يعبر عنه بما يقع به التخاطب[11].

5- "منجز فردي يتم بالتحول والتغير وعدم الثبات"[12] .

6- كل تلفظ يفترض متكلما ومستمعا عند الأول هدف التأثير على الثاني بطريقة ما[13].

7- "ملفوظ طويل أو متتالية من الجمل " [14] .

والمتمعن في التعريفات السابقة للخطاب، يجد أنّه الجانب الإنجازي التلفظي الفردي للغة الذي يستلزم وجود أطراف متخاطبة يهدف المرسل دائما التأثير في المرسل إليه.

وهناك من يعرّف الخطاب[*] بالنظر إلى ما يميزه بالممارسة داخل إطار السياق الاجتماعي بغض النظر عن رتبته حسب تصنيف النحويين: "الملفوظ منظور إليه من وجهة آليات وعمليات استغلاله في التواصل، والمقصود بذلك الفعل الحيوي لإنتاج ملفوظ ما بواسطة متكلم معين في مقام معين وهذا الفعل هو عملية التلفظ "[15] .

ويذهب فان ديك (teun A. van dijk) في تحديد طبيعة الخطاب بوصفه:

1- دلالة: الترابط، الانسجام، البنيات الكلية.

2- تداول: سياقات الأفعال، تداولات الخطاب، الأفعال الكلامية [**].

3-**الرسالة الديوانية:** وهي فن من فنون الكتابة النثرية الفنية، "يكتب هذا النوع من الرسائل كما هو معلوم في غرض رسمي لتسيير شؤون الدولة وتصدر عن الحكام والولاة لتوطيد دعائم الحكم

ومعالجة المشكلات، وتصور الرسائل الديوانية الحياة الاجتماعية في ذلك العصر، وما كان يعتريها من ثورات "[16].

وقد عرف عن خلفاء العصر العباسي حرصهم الشديد على حسن إدارة دولتهم و السهر على مصالح الرعية، لينتظم لهم أمر الملك فلم يدخروا وسعا في اقتباس الأساليب الإدارية النافعة من الأقوام الأخرى لتطبيقها في دولتهم وإنشاء الدواوين و الأجهزة لإدارة مرافق الدولة المترامية الأطراف بكل نجاح . "و الديوان كلمة فارسية معناها السجل أو الدفتر الذي تدون فيه الأسماء، والأموال وقد أطلق الاسم مجازا على المكان الذي يعمل فيه الموظفون المختصون بالعمل في الديوان "[17].

إنّ أول من أنشأ الدواوين في الدولة الإسلامية عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – فلم يكن على عهد الرسول – صلى الله عليه وسلم – ولا عهد الخليفة الأول دواوين (***) واستمر الأمر بعد عمر بن الخطاب ومع اتساع الدولة وزيادة مواردها المالية اقتضى الأمر خطوة إلى الأمام على طرق التنظيم الإداري و المالي للدولة، فكان إنشاء الدواوين" فيرجع الفضل إلى عمر بن الخطاب في إنشاء الدواوين في الدولة الإسلامية مستفيدا في ذلك من تجارب الفرس والروم[18].

ومع ازدهار الدولة الإسلامية في العصر العباسي انصرف الناس إلى الثقافة والكتابة للإقناع، خلافا لسلاح الخطابة في العصر الأموي واستعاضوا عن الألسنة التي تخطب بالأقلام التي تكتب، وحلت محل الخطابة الرسائل الإدارية والمنشورات الدولية والمناظرات العلمية والأدبية ولم يبق لها سوى بعض الأصداء في المساجد والجوامع، تبسط للرعية الموضوعات الدينية في الجمع و الأعياد وتشرحها ومن هنا انتشرت الكتابة وتنوعت، يقول حنا الفاخوري في هذا الصدد:" وتعددت فنون الكتابة في العهد العباسي فكان منها الرسائل الإخوانية في الشكر والعتاب والتعازي والتهاني والاستعطاف وغير ذلك ومنها التصانيف العلمية، والأدبية ومنها المقالات والمناظرات والعهود والروايات القصصية والمقامات "[19].

تتعلق موضوعات الرسائل الديوانية بأمور الدولة في مختلف الأغراض التي تتصرف إليها اهتمامات الحكم على اختلاف قيمتها في الداخل والخارج، وبذلك تنقسم إلى قسمين الرسالة الداخلية والرسالة الخارجية؛ فالداخلية تحمل المضامين التالية: السياسة – الإدارة – الإعلام –الشّعب.

والخارجية تحمل المضامين التالية: التهديد – الوعيد – الترهيب – المهادنة والمصالحة –الموعظة والمأساة والمنازعة والمحاججة [20].

ومن العهود والعقود: عقود البيعة وهي الرسالة الديوانية التي اعتمدناها محل التطبيق في هذا البحث وهي نص بيعة للخليفة المنتصر بالله موجهة إلى الجند والعامة والخاصة لمبايعته.

وتعد الرسالة الديوانية من الكتابة الفنية التي ظهرت في العصر العباسي وهي :" نثر محبّر أو بعبارة أخرى ؛هي نثر فني عمادها التأني والتروي في اختيار المعاني والألفاظ وصياغتها بأسلوب جذاب بما فيها من اتساق التركيب وتلاؤم الشكل والمضمون، الأمر الذي يثير المتعة بسحر البيان وذلك بقدر أثر الاستحسان""[21] ويصدر الخطاب في الرسالة الديوانية من الفئة العليا أو الفئة الحاكمة، لذا يغلب على لغة الخطاب فيها الضبط والانضباط والشدة والعزيمة، فتكثر عبارات الأمر والنهي والتهديد والتحذير والنصح، والوعد والوعيد في استعمالاتهم اللغوية، كما يكثر استعمال ضمير الجماعة ولها بنية خاصة تكون كالتالي:

1- ذكر المرسل و المرسل إليه .

2- البسملة

3- الموضوع

4- الخاتمة

5- التوقيع والختم

والتوقيعات عادة ما تكون آية قرآنية أو جزء منها، أو حديث نبوي، أو دعاء للخليفة والخلافة، أو قول مأثور، أو حكمة، أو مثل، ومسألة التوقيعات حظيت بدراسات واهتمامات مطولة سنقف عندها في مجالات بحثية و دراسية أخرى بإذن الله .في هذا المقال سوف نقف على بعض آليات المنهج التداولي في مقاربة نص نثري تراثي وبالتحديد السياق والإستراتيجيات المعتمدة في تحقيق الدلالة الكلية للرسالة. تمثل هذا النص التراثي في رسالة ديوانية من العصر العباسي كتبها وأرسلها الخليفة المنتصر بالله إلى الجند والعامة و الخاصة لمبايعته.

نص الرسالة:

- نص البيعة التي بايعه بموجبها الجند والعامة والخاصة:

"بسم الله الرّحمن الرحيم تُبايعون عبد الله المنتصر بالله أميرَ المؤمنين بيْعةَ طوعٍ واعتقاد ورضا ورغبة وإخلاصٍ من سرائركُم، وانشراحٍ من صدوركم، وصدق من نياتكم، لا مُكرهين ولا مُجبرين، بل مُقرِّين عالمينَ بما في هذه البيعةِ، وتأكيدها من طاعةِ الله وتقواهِ، وإعْزازِ دينِ اللهِ وحقِّه، ومن عُموم صَلاح عبادِ اللهِ واجْتماعِ الكَلمة، ولمِّ الشعث، وسُكونِ الدَّهماءِ، وأمْن العواقِب، وعزّ الأوْلِياء، وقمْعِ المُلحِدين، على أنَّ محمَّدًا الإمام المنتصر بالله عبدُ اللهِ وخليفَتُه المفْترضِ عليْكُم طاعَتُه ومُناصحَتهُ والوفاءُ بحَقّه وعقْدِه، لا تشْكُون، ولا تدهنُونَ، ولاَ تميلونَ، ولا تَرْتابُون وعلى السَّمعِ لهُ، والطَّاعة والمُسالَمَة والنُّصْرة والوفَاءِ، عند كُلّ ما يَأمُر به عبْدُ الله في السّر و العَلانِيَة والخُفوف والوُقوف، عندَ كلّ ما يأمُر به عبد الله الإمَامُ المَنتصرِ باللهِ أميرُ المُؤمنِين، وعلى أنَّكم أوْلِياء أوْلِيائه وأعْدَاءُ أعْدَائِهِ من خاصٍ وعامٍ وأبعدٍ و أقربٍ، وتتمسَّكونَ ببيْعَتِه بوفاءِ العقْد وذمَّة العَهْد، سرَائرُكم فِي ذلك مثْلُ علانِيتِكُم، وضمَائِرُكم مِثْلُ ألْسِنتِكم راضِينَ بما يَرْضاهُ لكم أَميرُ المؤْمنِينَ في عاجِلكُم وأجِلِكم، وعلى إعطَائِكم أميرَ المُؤمنين بعدَ تجْدِيدكُم بيعَتِهِ هذهِ على أنْفسِكم وتأْكيدِكمْ إيَّاها في أعْناقِكم، صفقَة إيمانِكم، راغِبِينَ طائِعينَ عن سلامةٍ من قلوبِكم وأهْوائِكم ونيَاتكِم، وعلى أنْ لا تسْعُوا في نقْضِ شيءٍ ممَّا أكَّد اللهُ عليْكُم، وعلى أنْ لا يَمِيلَ بكم مميلٌ في ذلك عنْ نُصرةٍ وإخْلاصٍ ونُصحٍ ومُوالاةٍ، وعلى أنْ لاَ تُبدِّلُوا ولا يَرْجعُ منكُم راجِعٌ عن نيَّتِه وانْطِوائِه إلى غَيْر علانِيَتِه وعلى أنْ تكونَ بيْعَتكم الّتي أعطَيْتُم بها ألْسِنتِكم وعُهُودِكم، بيعةً يطلع الله من قلوبكم على اجتِبائِها واعتِقادِها، وعلى الوفَاء بذمَّته بهَا وعلى إخْلاصِكم في نُصرتِها، ومُوالاةِ أهْلِه، لاَ يشُوبُ ذلك منكم دَغْلٌ ولا أدْهانٌ ولا احْتِيَالٌ ولا تأوّل، حتّى تلقُوا اللهَ مُوفينَ بعَهدِهِ، ومؤَدِّين حقَّه عليْكُم غير مُسْتَشْرِفِينَ ولاَ نَاكِثِينَ، إذْ كَانَ الّذينَ يُبايِعونَ منكم أميرَ المُؤمنِينَ إنَّما يُبايِعونَ اللهَ، يدُ اللهِ فوْقَ أيْدِيهِم، فمن نكَثَ فإنَّمَا ينْكُث على نفْسِهِ، ومن أَوْفى بمَا عَاهَدَ عليْهِ اللهَ فسَيُؤْتِيه أجْرًا عظِيمًا عليكم بذلك، وبمَا أكَّدت هذِه البيعَةُ في أعْناقِكم وأعْطيتُم بهَا من صفقَةِ أيْمَانِكم، وبما اشْتَرط علَيْكم بهَا مِن وفاءٍ ونصْرٍ ومُوالاَةٍ واجْتهَادٍ ونُصحٍ، وعليكم عَهْدَ اللهِ إنَّ عهْدَهُ كانَ مسْؤُولاً، وذمَّةُ اللهِ وذمَّةُ رسُولِهِ وأشدُّ ما أخَذَ على أنْبِيَائِه ورُسُلِهِ وعلى أحدٍ مِن عبَادِه من متأكِّد وثائِقِه أن تسْمَعُوا ما أخَذَ عليكم في هذِه البَيْعةِ ولا تُبدِّلُوا، وأنْ تُطيعُوا ولا تَعصُوا، وأنْ تُخْلصوا ولا

تَرْتابُوا، وأن تَتَمَسَّكُوا بما عَاهدْتُم عليه تمَسُّكَ أهلِ الطَّاعةِ بطاعَتِهِم، وذوي العَهْدِ و الوَفَاءِ بوفائِهِم وحقِّهِم، لا يُلفِتُكم عن ذلك هَوَى ولاَ ميْلٍ ولا يَزيغُ بكم ضَلالٌ عن هُدى، باذِلينَ في ذلك أنْفسِكم واجتهَادِكم ومُقدمِينَ فيه حقَّ الدِّينِ والطَّاعةِ، بما جعَلْتم على أنفُسِكِم لا يَقْبَلُ اللهُ منكم في هذه البيعَةِ إلاَّ الوفاءَ بها، فمَن نكَثَ مِنكم ممَّن بايَعَ أميرَ المؤمنينَ هذه البيعة عمَّا أكَّد عليْه مسِرًّا أو مُعلنًا، أو مُصرِّحًا أو مُحتَالًا، فأدهَنَ فيمَا أعطىَ اللهَ مِن نفسِهِ، وفيما أخذَت بِه مواثيقُ أميرِ المؤمنينَ وعُهودِ اللهِ عليه مُستعمِلاً في ذلك الهوينةِ دونَ الجدِّ، والرُّكونِ إلى الباطلِ دونَ نُصرةِ الحقِّ، وزاغَ عن السَّبيلِ الَّتي يعتصِمُ بها أولُو الوفاءِ منهم بعهودِهِم، فكلُّ ما يملكُ كُلُّ واحدٍ، مِمَّن خانَ في ذلك بِشيءٍ نقَضَ عهْدَهُ من مالٍ أوْ عَقارٍ أوْ سائِمَةٍ أو زَرعٍ أو ضرعِ صدقةٍ على المساكِينِ في وجوهِ سبِيلِ اللهِ محرَّمٌ عليه أنْ يُرجعَ شيْءٌ من ذلك إلَى مالِه عنْ حيلَةٍ يُقدِّمها لنَفسِه أو يحْتَالُ بهَا، ومَا أَفَادَ في بَقيَّةِ عمْرِه مِن فائِدةِ مالٍ يقلُّ خطرُهَا أو يُجلُّ قدرُها فتلك سبِيلُه إلى أَنْ تُوافِيهِ منيَّتُه ويأْتي عليْهِ أجَلُهُ وكُلُّ مَمْلوكٍ يملِكَه اليَومَ إلَى ثلاَثِينَ سنَةٍ مِنْ ذكَرٍ أو أُنثَى أحْرارٌ لوَجْهِ اللهِ، ونسَاؤُه في يومٍ يلزَمُهُ الحَنثُ ومَن يتزوَّجهُ بعدَهُنَّ إلى ثلاثِينَ سنةٍ طوالقَ البتَّة طلاقُ الحرجِ وألسِنَة، لا مثْنوية فيه ولاَ رجْعَة، وعليْهِ المَشْيُ إلى بَيتِ اللهِ الحرامِ ثلاثِينَ حجَّةٍ لا يقبَلُ اللهُ إلاَّ الوفاءُ بهَا، وهُوَ برِيءٌ مِن اللهِ ورسُولِهِ واللهُ ورسُولُه منْهُ بريئَانِ، ولا قَبِلَ اللهُ منْهُ صرفًا ولاَ عدْلاً، واللهُ عليْكُم شهِيدٌ، وكَفَى باللهِ شهِيدٌ.(****)

1-السياق:

يعرّف فاضل السامرائي السياق بقوله :" السياق هو مجرى الكلام وسلسلة اتصال بعضه ببعض"[22] وهو أيضا "هيئة مجرى الجمل، وكيفية نظمها واتصالها ببعضها ومعرفة أحوالها في الكلام "[23]، فللسياق ومعرفته وإدراك كل مقتضياته أهمية كبيرة في تحديد مفهوم القول أو دلالته أو معناه، إذ كيف يمكن الحكم على مقولة ما أو جملة أو نص دون معرفة السياق الذي وردت فيه، فكتابة أي رسالة ديوانية مرتبط بسياق معين، فرسائل ديوان الخراج مثلا مختلف عن ما يكتب من رسائل في دواوين أخرى، إذن فمعرفة السياق هو الذي يحدد طبيعة المراسلة التي يقدم الإداري على كتابتها (كاتب الرسالة الديوانية أو محررها)، وهنا يرى عبد الهادي بن ظافر الشهري أنّه:" ليس من السهل تحديد مجال السياق فيجب على أي واحد أن يأخذ بعين الاعتبار العالم الاجتماعي و النفسي الذي يؤثر في مستعمل اللغة في أي وقت كان (والسياق عنده ذو مفهومين) السياق اللغوي و السياق التلفظي أو سياق الحال وسياق الموقف ""[24].

أما السياق اللغوي فهو تلك الأجزاء من الخطاب التي تحف بالكلمة في المقطع وتساعد في الكشف عن معناها أي مجموعة الألفاظ و التراكيب المكونة لنص الرسالة، والسياق التلفظي هو مجموعة الظروف والملابسات والأحوال والمقتضيات المتعلقة والمحيطة بكتابة هذه الرسالة وتتضح في طلب المبايعة لتنصيب المنتصر بالله لنفسه خليفة على العرش بعد تجديد المبايعة له من قبل كل الأطراف المكونة للمجتمع العباسي آنذاك، ويرتبط هذا الحدث بمكان و زمان معينين . فالسياق اللفظي في معناه الأصلي " مجموعة الظروف التي تحف حدوث فعل التلفظ وموقف الكلام "[25].فرسالة المنتصر بالله كتبها على إثر وفاة أبيه المتوكل سنة(247 هـ – 248 هـ) أو قتله إياه وهو نص البيعة الذي يطلب فيه من الجند والعامة (الرعية)، والخاصة (حاشية القصر) أن يبايعونه بيعة إخلاص ووفاء .

مما سبق نجد أنّ فهم القول يتأتى من إحلاله ضمن السياق الاجتماعي الذي ورد فيه، وعليه فلا يمكن التوصل إلى ماهية المعنى إلا بمعرفة الوسط الاجتماعي الذي قيل فيه؛ يقول فيرث John "Rupert Firth" :

" لدى أهل المنطق نزعة إلى القول بأن للكلمة وللأطروحات معنى في حد ذاتها يمكن بطريقة أو بأخرى تحديده بمعزل عن المشاركين في الخطاب، أو الظروف والمناسبات التي وقع فيها الحدث الكلامي، يبدو أنّهم لا يرون في طرحهم أهمية الأخذ بعين الاعتبار دور المتكلمين و المستمعين أما أنا فأقترح أنّه لا يمكن الفصل فصلا تاما بين الأصوات (المنطوقة) وبين السياق الاجتماعي الذي تلعب فيه دورها ....."[26]

يقول براون ويول "Brown &Yule":" إنّه يتحتم على محلل الخطاب أن يأخذ بعين الاعتبار السياق الذي ورد فيه مقطع ما من الخطاب،فمعرفة السياق، كما رأينا تتطلب فهما عاما و آخر خاصا يحدده الكلام في هيئته النهائية أو الجملة إذا كانت مستقلة، ولا يتأتى للمحلل تحديد هذا الفهم إلاّ بعد أن يتعرف على الماهية الكلية للكلام أو الجملة"[27].

إنّ أي تغيير لجملة ما في السياق قد يغير معناها كلية وهذا ما أشار إليه براون ويول:" علينا أن نحدد ما يمكن معرفته عن معنى قول ما، ومقامه بالاعتماد فقط على معرفتنا بان القول قد حصل، فكلما لفتت انتباهي جملة ما، مستعملة في سياق ما، أجد نفسي أتساءل مباشرة عما إذا كان وقعها سيكون مختلفا لو حصل تغيير طفيف على السياق "[28].

وقد حدد هايمز (Dell Hathaway Hymes) أهم الخصائص في السياق متبعا في الأصل منهج فيرث فكانت كالتالي[29] :

1- الباعث والمتلقي ⟵ المنتصر بالله (المرسل)، والجند والعامة والخاصة (المرسل إليه)

2- معرفة الموضوع ⟵ المبايعة

3- القناة ⟵ الرسالة المكتوبة

4- الشفرة ⟵ اللغة (اللغة العربية الفصحى)

5- صيغة الرسالة ⟵ رسالة ديوانية رسمية

6- الحدث ⟵ قتل المتوكل وشغور منصب الخلافة .

وخلاصة ما سبق إن الخليفة في سياق طلب المبايعة حرر رسالته كتابيا بلغة عربية فصحى وقد كتبها وهو عارف متلقيه (العامة والخاصة والجند)، متبعا صيغة الرسالة الديوانية الرسمية التي تكتب في مثل هذا السياق خاصة وأن منصب الخلافة شاغر لقتل المتوكل .

وقد حدد الجرجاني في حديثه عن المعنى شروطا للكلام وهي [30]:

1- أن يكون الكلام لداع يدعو إليه إما في اجتلاب نفع أو دفع ضرر (نفع).

2- أن يأتي له في موضعه (مطابقة الكلام لمقتضى الحال) .

3- أن يقتصر منه على قد حاجته (لا حشو ولا إطناب مخل) .

4- أن يتخير اللفظ الذي يتكلم به.

ونص البيعة لا يخرج بما كان عن الشروط السابقة الذكر؛ له ضرورة في الاتصال فالمنتصر بالله في موضع يستلزم عليه تجديد المبايعة حتى يعتلي كرسي الخلافة والنص في مجمله حسن التركيب، فلا إطناب مخل ولا حشو يضيع المعنى اللهم بعض التكرارات وهو بذلك مصيب لأنّه في

موضع و مقام جذب واستمالة ومحاولة تأثير على المتلقي من أجل تحقيق رغبته .

ولعل غرايس "Herbert Paul Grice " هو أكثر إجرائية في استثمار السياق حيث يقول :" ليكن إسهامك في الحوار بالقدر الذي يتطلبه السياق وبما يتوافق مع الغرض المتعارف عليه أو الاتجاه الذي يجري فيه ذلك الحوار"[31]، ولم يعدل الخليفة المتنصر بالله عما يتعلق بالمبايعة وأمورها الخاصة؛ أي أن فحواها لا يخرج عن مسائل السياسة والحكم والأمور التي تجمع الحاكم بمحكوميه من جند وحاشية وعامة؛ من مسائل اجتماعية واقتصادية وأحوال شخصية مثل تطرقه لمسألة الطلاق في نهاية النص :" **وَنِسَاؤُهُ فِي يَوْمٍ يَلْزَمُهُ الحِنْثَ وَمَنْ يَتَزَوَّجُهُ بَعْدَهُنَ إِلَى ثَلاَثِينَ سَنَةٍ طَوَالِقَ البَتَّةَ طَلاَقُ الحَرَجِ وَالسُنَةِ , لاَ مَثْنَوِية فِيهِ وَلاَ رَجْعَة...**" [32] .

لقد أولى الباحثون العناية الكبيرة والاهتمام الواسع بطبيعة الكلام وفائدته، وبحثوا كثيرا عن أهم الخصائص وأهم السمات التي تحقق له ذلك وتكفل حمله لمقتضيات الدلالة الكلية فيه والتي منها حسن اختيار الألفاظ، إذ يذهب فيرث " John Rupert Firth"إلى أنّ المعنى المقصود لا يظهر، إلا بمراعاة الوظيفة الدلالية للألفاظ المستخدمة وبناء على ذلك فقد فرّق بين خمس وظائف أساسية مكونة للمعنى هي الوظيفة الصوتية والصرفية والمعجمية والتركيبية والدلالية [33] ويقول سالم شاكر: " ليس للكلمة دلالة بل لها استعمالات ليس إلاّ " [34]

فالكلمة فعل واسم والاسم يفيد السكون والثبوت وعدم التحول والتغير، في حين يفيد الفعل الحركة والتغير، وقد كثر المكون الاسمي على المكون الفعلي كون الخليفة وهو الطالب للمبايعة يرغب في ثبوت الرعية على العهود والمواثيق، والمتتبع للأفعال في الرسالة يجد أنها تشكل مجموعة من الأوامر الواجبة التنفيذ مهما كانت مكانة قائلها فهي عادة تصدر عن السلطة الحاكمة . يقول سمير عالية:" إنّ الأفعال ما هي إلا سلوك لغوي يتجسد عبر العملية التواصلية بين (المتخاطبين) ويعكس نمطا ونشاطا اجتماعيا ومن خصائص القاعدة القانونية أنها قاعدة سلوك، فهي ترسم للأفراد في المجتمع السلوك الواجب وتكلفهم الالتزام به" [35] وإن لم تأت الأفعال بصيغة الأمر المباشر؛ فقد جاءت في معاني الأفعال الذي يبتغي الخليفة من الرعية الامتثال لها وتنفيذها وكأمثلة على ذلك نذكر :تطيعوا، تعصوا، تسعوا، تميلون، ترتابون، تدهنون، تبدلوا توفوا .... هذا عن الفعل أما عن الاسم فقد يدل على الوصف أو الحدث أو الاسم الجامد، فالحدث هو المصدر و الوصف هو المشتقات والجامد ما سوى ذلك من الأسماء وكأمثلة نذكر: البيعة، عقد، عهد، طاعة، الدهماء، المنية، الركون، العهود، المواثيق ...

هناك عناصر يجب تحديدها حتى نتمكن من إدراك كل مقتضيات السياق مثل المتكلم والمستمع والمكان و الزمان لذا " ينبغي للمحلل أن يأخذ بعين الاعتبار السياق الذي يظهر فيه الخطاب والسياق يتشكل من المتكم أو الكاتب و المستمع أو القارئ والزمان والمكان لأنه يؤدي دورا فعالا في تأويل الخطاب, بل كثيرا ما يؤدي ظهور قول واحد في سياقين مختلفين إلى تأويلين مختلفين "[36].

نطبق خصائص هايمز في السياق والتي تعد حسبه دائما قابلة للتصنيف على الرسالة محل الدراسة :

1- المرسل ←—— المنتصر بالله

2- المرسل إليه←—— الجند والخاصة والعامة.

3- الموضوع ←—— المبايعة

4- المقام ←— القصر سنة 247هـ

5- النظام ⟵ اللغة

6- شكل الرسالة ⟵ رسالة ديوانية رسمية

7- الحضور ⟵ الخليفة + كاتب الديوان (ديوان الخليفة)

8- المفتاح ⟵ تنصيب الخليفة على العرش

9- الغرض ⟵ الموافقة على ما جاء بنص المبايعة[37].

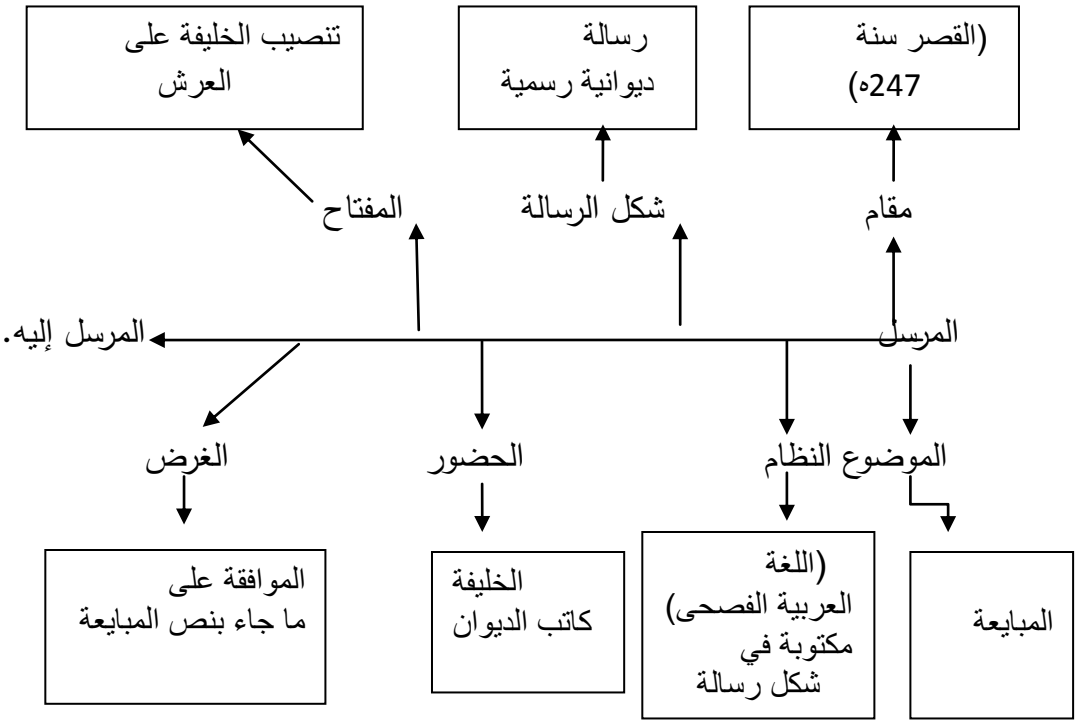

ترسيمة لخصائص هايمز في السياق مطبقة على رسالة الخليفة

هذه خطاطة تلخص كل مقتضيات نص البيعة [38]:

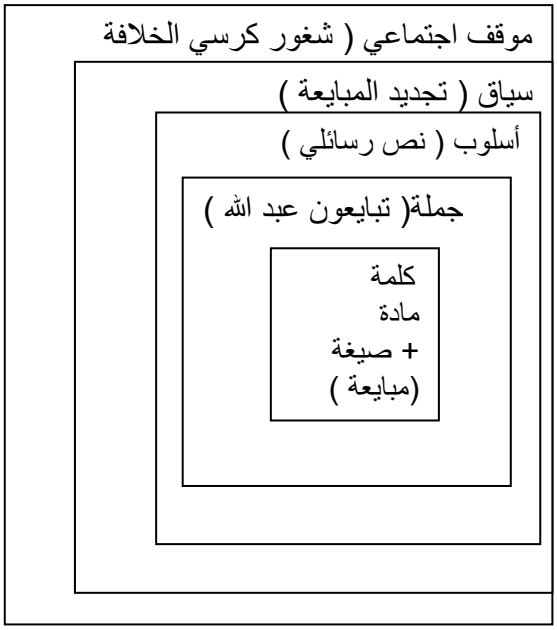

ويمكن ترجمة الخطاطة السابقة إلى المعادلة التالية :

1- دلالة النص = سياق + الموقف الاجتماعي

تحديد البيعة + شغور كرسي الخلافة

2- السياق = الجملة + الأسلوب

تبايعون عبد الله + رسالة ديوانية رسمية.

3- جملة = كلمات + إسناد

تبايعون / عبد الله + فعل + فاعل + مفعول به

4- الكلمة = مادة + صيغة.

مبايعون + الموافقة على التنصيب

إنّ الوقوف على كل عناصر السياق وتحديدها ومعرفة طبيعتها، يساهم بقدر كبير في إجلاء المعنى الكلي للنص، أو الرسالة والمتمثلة في الأطراف المتخاطبة أولا لأَن كل خطاب يتأسس طبيعيا على موقف تخاطبي بين متخاطبين فيوجد على الأقل في كل موقف تواصلي شخصان أحدهما فاعل حقيقي والأخر فاعل على جهة الإمكان أي المتكلم والمخاطب: " ويشكل طرفا الخطاب بؤرة العملية التواصلية فهما اللذان ينقلان اللغة من مجال الوجود بالقوة إلى مجال الوجود بالفعل، وعبر فعلهما هذا يستخدمان اللغة استخداما سياقيا، يقوم على انتقاء ما يتوافق مع الوضع الذي يعيشانه ويتحدد طرفا الخطاب في موقف سياقي ما، باستخدام الاسم أو باستخدام الضمائر الدالة عليه[39].

والجدير بالذكر أنّ المتخاطبين يخضعان إلى جملة من القواعد يؤطرها سياق المتكلم ويتأسس نجاح العملية التواصلية على مراعاة المتكلم للسامع، ولتحديد مكان وزمان إنتاج النص أهمية في فهم ونجاح وتأثير الرسالة في المرسل إليه.

IIالإستراتيجيات:إستراتيجيات التداول:

1- الإستراتيجية الإفهامية (الأخبار والإعلامية)

2- الإستراتيجية الحجاجية.

3- الإستراتيجية التوجيهية.

إنّ الفصل بين إستراتيجيات التداول جاء لتسهيل الدراسة فحسب، لأنّها في الأصل كل متكامل ومتداخل؛ إذ في الموقف التواصلي الواحد قد يجتمع الإفهام والتوجيه والحـجاج: "كما أنّ للعتبة الحجاجية حضورا في مختلف الإستراتيجيات، على اعتبار أنّ كل قول حتى ولو كان لفظا واحدا هو حجة حذف أحد عناصرها[40].

1- الإستراتيجية الإفهامية :

ليحقق الأفراد التواصل مع نص ما، لا بد من معرفة بعض الخبايا اللغوية التي تساهم في إدراك وفهم كل الأفكار والأخبار المنقولة، حتى يتم التواصل ولا يلتبس الفهم بين طرفي الكلام "إنّ عملية التواصل تتأسس على عقد بين المتكلم والمخاطب يتم من خلاله التواضـع على شفرات معينة، ولكن هذا التعـاون بين المتكلم والمخاطب ليس قائما في كل الأحوال بل يمكن للمتكلم أن يبني كلامه بشكل مقصود أو غير مقصود، كما يمكن للمخاطب أن يعيد بناء القول على ما قاله المتكلم انطلاقا من فهم شيء مقصود أو غير مقصود للمتكلم"[41]

وحتى تقل درجة الفهم وتتسع دائرة الحوار بين الأطراف المتخاطبة يلجأ عادة إلى بعض الآليات التي اشتقت الرسائل الإدارية بعضا منها فيما يتعلق بالإستراتيجية الإفهامية كالإفهام بالشرح إذ أنّ " التفاعلات الحوارية بين الأفراد تبنى في جزء منها على التشارح الذي يعتبر من المعايير الأساسية لحصول التواصل "[42] فجاء في الرسالة "**تُبايِعونَ عبدَ اللهِ المنتصِرَ أميرُ المؤْمِنينَ؛ بيْعةَ طوْعٍ واعْتقَادٍ ورِضًا ورَغْبةٍ وإخلاصٍ مِن سَرائِركُم وانْشرَاحٍ**

مِن صُدورِكم وصِدقِ نيَاتِكِم، لاَ مُكرَهِينَ و لاَ مُجبَرِينَ بلْ مُقرِّين عَالِمينَ بِما فِي هَذهِ البَيْعةِ وتَأْكيدِها مِن طَاعةِ اللهِ وتَقْواهِ مِن إعزَازِ دِينِ اللهِ وحَقِّهِ " [43] فالخليفــة في حالة شرح لكيفيـة المبايعـة وتحديد مميزاتها. والشرح يقترن بجملة من القواعد اللغوية يمكن امتلاكها من إزالة بعض الضبابية التي تلف الخطابات ، وللتوضيح أكثر يستعان بالتمثيل " فإذا كان الشيء متعلقا بغيره مقيسا على ما سواه كان خير ما يستعان به على تقريبه من الإفهام وتقريره في النفوس؛ أن يوضع له مثال يكشف عن وجهة ويؤنس به ويكون زماما عليه يمسكه على المتفهم له و الطالب علمه"[44].

ونستدل من الرسالة بمايلي:" **وَتتمَسَّكُونَ بيْعةَ وفَاءِ العَقدِ وذِمَّةِ العهْدِ، سَرائِرُكم مثْلَ عَلانِيتِكم وضَمائِرُكم مثْلَ ألْسِنتِكُم** "[45] ليبين الخليفة أن مبايعتهم له يجب أن تكون صادقة وخالصة وليقرب لهم الفهم يستعمل التمثيل فيقول :" **مثْلَ عَلانِيتِكم** "، "**مثل ألْسِنَتِكُم** " وقد يكون التمثيل دون ذكر كلمة مثل كأن يكون ضمنيا؛ فيمثل الخليفة طاعته وتأكيدها من طاعة الله وتقواه فقال في مقام أخر: " **وعَليْكم عَهدَ اللهِ إنَّ عهْدِي كَانَ مَسْؤولًا، وذِمَّةُ اللهِ وذِمَّة رَسولِهِ وأشدُّ ما أَخَذ علَى أنْبيائِه ورُسُلِهِ وعلَى أحَدٍ مِن عبَادِه مِن مُتأكِّدٍ وتَائقَةٌ أنْ تسْمعُوا ما أخَذَ عليْكُم فِي هذِه البَيْعةِ ولاَ تُبدِّلوا.....**"[46]

يريد الخليفة أن يكون ميثاقه مع الجند والعامة والخاصة (مبايعوه) مثل ميثاق وعهد الأنبياء والرسل مع الله – عز وجل – فقد استعمل التمثيل هنا من أجل إيصال الرسالة إلى متلقيه حتى يضمن ثقة وصدق المبايعة، ويستعمل المسائل العاطفية والعقائدية لأنّه أعلم بنفسية الفرد العربي في هذه المسألة .

1- الإفهام بالتقعيد: تتعلق أول قاعدة يكشف عنها النص بالاستخدام الكمي للغة، وفق حاجات المتخاطبين والمرسل في هذا النص أمام متلقي مختلف المستويات (جند، عامة، خاصة)، إذن فقد استعمل كمّا هائلا من النصاب اللغوي قصد تحقيق هدفه التواصلي وخاصة وأنّنا نجد المعنى الواحد مكررا في عدة مواضع؛ خاصة في مسألة تأكيده على المبايعة الحقّة، والطاعة و الوفاء بالعهد والوثاق وعدم النكث وعدم العصيان فيقول:" **وعَلى السَّمعِ لَه والطَّاعةِ والمُسالمَةِ والنُّصْرةِ والوَفاءِ عنْدَ كلِّ ما يَأمُرُ بِه عبدُ اللهِ في السِّر والعَلانيَة والخُفوفِ و الوُقوفِ عنْدَ كلِّ ما يأْمُرُ به عبْدُ اللهِ الإمَامُ المُنتَصرُ باللهِ أميرُ المُؤمنينَ وعلى إنَّكم أَوْلياءُ أوليائِهِ وأَعداءُ أعدَائِه مِن خاصٍ وعامٍ وأبعدٍ وأقربٍ، وتتَمسَّكونَ ببيْعتِه بوفاءِ العقْدِ وذمَّة العَهدِ، سرّ سَرائرُكم فِي ذلك مثل علَانيَتكُم و ...**" [47] كل ذلك ليضمن المرسل إيصال المعلومة وفهمها من طرف المتلقي، وضمان التواصل والتفاعل معها، وهو بها يخالف ما ذهب إليه القدماء في قضية التقليل الكمي و اللغوي أثناء التخاطب حتى قيل إنّ البلاغة الإيجاز، ولكن الإيجاز في مقام الخليفة هنا لا يناسبه ولا يخدم غرضه ونجد " GRICE " قد وضع أربع قواعد سماها مبادئ التعاون ومنها مبدأ الكمية (Maxim's quantity) [48].

إنّ الكم المعلوماتي المقدم أثناء التخاطب والذي يلعب أهمية بالغة في تحقيق التفاعل، وهو خاضع لشروط تحكمه تتعلق بالأطراف الأساسية لعملية التواصل؛ أي المتكلم، الرسالة، والمستمع، وهو ما نجده في هذه الرسالة ففيها من التوضيح والمعلومات

والتوصيات ما يناسب الجند والعامة والخاصة فقاعدة التقليل الكمي تحدد نصيب كل مستمع من اللغة لأنّ هذا المبدأ يقوم على مراعاة المتكلم فكل حسب حاجته للفهم و التوضيح .

2- قاعدة الروابط الإشارية كأن تورد أدوات للربط وهي في الأصل أدوات غير رابطة مثل حرف الجر في قوله :"**وكلُّ مَمْلُوكٍ يمْلِكه اليَومَ إلَى ثَلاثِينَ سنَةً مِن ذَكرٍ أَوْ أُنثَى...**" .[49]

حرف جر استعمل للربط واسترسال المعنى وتكملته

قد تتبدل وظائف الأدوات اللغوية لتتحول كما في المثال المذكور أعلاه من الدلالة على الجر إلى الدلالة على الربط؛ فترجيح دلالة على حساب دلالة أخرى يوضحه السياق الذي وردت فيه الأداة ويفهم ذلك من خلال المعنى ،**مثال :" عليْكُم بذَلك وبِما أَكَّدَت هذِهِ البَيْعَةُ في أعْنَاقِكم وأعْطيتم بِها مِن صَفقَةِ إيمَانِكُم**"[50].

الجمع بين الربط والجر

الإفهام بالشرح :" والذي يقوم على الالتجاء إلى معجم نفهمه ويفهمه المتحدث الذي أمامنا وإلاّ ينعدم الاتصال والتواصل بيننا "[51]

إنّ الشرح يقوم بتنبيه المخاطب إلى بعض الألفاظ التي قد يعرفها في الواقع بمعنى ويستخدمها النص بمعنى أخر، إنّ المعنى المتجلي في النص يتم وفق معطيات سياقية وقد يكون الوصول إلى الدلالات الجديدة لتلك الألفاظ جهدا مبذولا من طرف الشارح والمتلقي " فيحاول المتكلم التنبؤ بشروط فهم السامع (المتلقي) فيبني النص بوسائل يراها مساعدة للهدف الذي يود التوصل إليه "[52] ولنا مثال من الرسالة أين يشرح المنتصر بالله في الطلاق من زواج الحنث "**ونِساؤُه في يَومٍ يَلزِمهُ الحنَثُ ومَن يتزَوَّجْه بَعدُهنّ إلَى ثلَاثِين سَنَـةٍ طَوالِق البِتة طَلَاق الحَرَج و السُّنة لاَ مثنوِية فيه ولَا رَجعَة وعليْه المَشِي إلَى بَيْت اللهِ الحَرامِ ثلَاثِين حَجَّة لَا يَقبَلُ اللهُ مِنه إلَّا الوَفاءُ بِها ....**" [53]

الشرح :" يلعب دورا أساسيا في مختلف التفاعلات التخاطبية كما يسمح في الوقت نفسه بالتعبير عن نفس المضمون بطرق عدة "[54] فقد وردت في المدونة المطبقة عليها معان متقاربة ولنا أمثلة منها:- "**بَيعَة طَوْعٍ واعْتِقادٍ ورِضًا ورَغبةٍ وإخْلاصٍ وصِدقٍ**"، و "**عليْكُم طاعَتُه ومُناصَحتُه والوَفاءُ بحقِّه وعَقدِه** "، و" **وعلى السَّمعِ له و الطَّاعةِ والمُسالَمةِ والنُّصرةِ والوَفاءِ**"، و " **تتمَسَّكون ببيْعتِه بوفاءِ العَقْد وذِمَّة العَهدِ**"، و"**على أنْ لا يَميلَ لَكم مَيْلَ ذلك عَن نُصْرةِ وإخْلاصٍ ونُصحٍ ومُولاةٍ**"و "**أنْ تُطيعُوا ولا تَعصُوا , وأن تُخلصُوا ولا تَرتَابوا وأنْ تتمَسّكُوا بما عاهدْتُم عليْهِ تمسُّكَ أهْلِ الطَّاعةِ بِطاعَتِهم**"[55].

فكلها تحمل معنًى واحدا لا يخرج عن الطاعة والبيعة والوفاء والإخلاص بالعهد وعدم العصيان .

2- الإستراتيجية التوجيهية : تشكّل الإستراتيجية التوجيهية واحدة من إستراتيجيات التداول التي أفرزتها الرسائل الديوانية وترتبط بجانب من جوانب التواصل التفاعلي للتوجيه؛ تهدف إلى توجيه كل أفراد المجتمع إلى وجهة واحدة تضمن التنظيم العام في كل جوانب الحياة ومجالاتها حتى تيسر وتتحكم في أمور الدولة كي تكون ذات مسحة حضارية، لأنّ الجماعة تحتاج إلى سياسة وتنظيم حتى تكون حياتها خالية من المشاكل والعوائق، وحتى يعرف كل فرد ما عليه وما لديه، فيسهل العيش ويستمر ويتعلق في أساسه بوجود طرفين تتحدد العلاقة بينهما تبعا لنوعية الخطاب المنتج والذي غالبا ما

يبنى على ما يشير لفعل التوجيه، هذا وتسهم العلاقة بين طرفي الخطاب إلى حد بعيد في الكشف عن مقصدية الخطاب محددة إذا ما كان توجيها أو غير ذلك، يتضح هذا مثلا في فعل الأمر الذي يعد تقنية من تقنيات التوجيه فإذا " كان الاستعلاء ممن هو أعلى مرتبة من المأمور استتبع إيجابه وجوب الفعل (..) ثم تولد بحسب قرائن الأحوال من ناسب المقام، إذ استعملت على سبيل التضرع كقولنا :" اللهم اغفر لي وارحم وردت للدعاء، وإن استعملت على سبيل التلطف، كقول كل أحد لمن ساواه في المرتبة :افعل، بدون الاستعلاء وردت للسؤال والالتماس""[56] فلمرتبة المرسل دور هام في تحديد طبيعة الطلب " لأنّها هي التي تحول دلالة الصياغة من الأمر إلى غير ذلك "[57] إن الحديث عن المرتبة يحيلنا إلى الحديث عن السلطة: فالتوجيه يرتبط بسلطة المرسل والتي قد تكون مكسبا في حقل من الحقول الاجتماعية أو الوظيفية وغيرها وقد تكون موجودة قبل التلفظ بالخطاب وتتبلور بالانتماء إلى درجات متفاوتة في سلم العلاقات العمودية بين طرفي الخطاب [58] للسلطة دور بالغ في إنتاج الخطاب وتأويلـه، فاللغة تفرض بسلطتها نمطا معينا من الخطابات على مستعمليها في مختلف المواقف التواصلية والتي يكثر فيها استعمالات لغوية معينة كاستعمال ضمير الجماعة نحن بدلا من ضمير الإفراد أنا + إضافة إلى كثرة أفعال الأمر والوعيد والتهديد المباشر وغير المباشر التي تفهم من خلال المعنى، والخطاب هنا صادر من مخاطب سلطة والسلطة تتكون حسب الدكتور عز الدين العلام من ثلاث أطراف هي : السلطان و الحاشية والرعية (******)

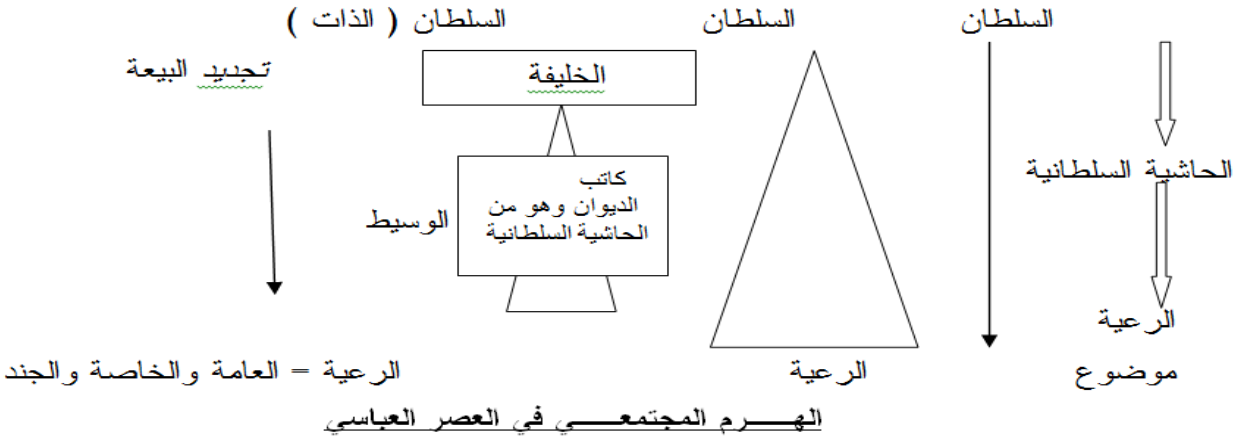

الهـــــرم المجتمعـــــي في العصر العباسي

3-الإستراتيجية الحجاجية: إنّ اللغة في النص النثري تصاغ لقصد ما " فاللغة هي المجال الذي تتكشف فيه القصدية المقرونة بالتواصل بأعلى مظاهرها وما دامت الحجة لا تفارق اللغة فإنّها تنطوي على أقوى مظاهر القصدية "[59]وقد تحتاج كل استراتيجية إلى إستراتيجيات أخرى لتؤدي هدفها فلقد اعتمدت الاستراتيجية الافهامية على التمثيل

كحجة والعتبة التوجيهية الاغتراء حجة " لأنّنا نتكلم عامة بقصد التأثير في الآخرين " [60].

- المتكلم المرسل (المنتصر)(خليفة)

الآخرين، ويتأثر بهم وليحول دون تأثيرهم فيه، انطلاقا من هذا تكشف الرسالة عن إشكالات وأخبار وأوامر ومعلومات تريد إيصالها نحو المتلقي[61]

- المكان ⟵ قصر الخلافة
- الوظيفة ⟵ خليفة
- الزمن ⟵ وفاة أبوه.

إنّ السلطة التي يتمتع بها بعض الأفراد تشكل حجة في ذاتها وقد تكون هذه السلطة في غالب الأحيان سلطة ترغيبية، "فحصول الاقتناع لدى المستمع لا يكون إلا بعد مطابقة القول الحجاجي لفعل صاحبه باعتباره دليلا وحجة مادية تنسحب على المتكلم وترعى موقفه وتؤكده"[62]

مثال :" إذَا كَانَ ٱلذينَ يُبايِعونَ منْكُم أميرَ المُؤمنينَ إنَّما يُبايعُون اللهَ يدُ اللهِ فَوق أيْديهم فمَن نَكثَ فإنَّما ينْكُث علَى نَفسهِ ومَن أَوْفى بِما عَاهدَ عَليْهِ اللهَ فسَيُؤتِيه أجرًا عَظيمًا " [63]

وقد تكون ترهيبية : فيسعى المتسلط إلى إجبار المخاطب على فعل شيء أو تركه ولو مكرها، فهو يعمد إلى تحقيق غرضه بإصدار أوامر بوساطة ألفاظ وعبارات لغوية تبنى على الاستعلاء المستمد من السلطة المخولة له بطريقة مشروعة أو غير مشروعة[64] وبصفة عامة لم يكثر التهديد في نص البيعة بصورة واضحة لأنّ المنتصر بالله في وضع لا يسمح له بذلك لأنّه في موقف استعطاف وجذب، اللّهم إذا ما كان في ثنايا السطور خاصة وأنّه يريد تجديد البيعة و قبول الرعية له فيقول: " **على إنَّ مُحمد الإمَامُ المُنتَصر باللهِ عَبدُ اللهِ وخَليفَتُه** إنّ التأثير في الآخرين يتم بلغة ذاتها فكل لفظ هو حجة كما قال طه عبد الرحمن، كما يتم بآليات وباللغة؛ فسلوكيات الإنسان اللغوية وغير اللغوية هي في الواقع نشاط حجاجي يمارسه الفرد ليؤثر في **المُفترض علَيْكم طَاعتُه ومُناصحتُه والوَفاءُ بِحقِّه وَ قْده، لا تَنْكُون ولا تَدهنونَ ولا تَميلونَ ولا تَرتَابُون وعَلى السَّمعِ له والطَّاعةِ والمُسالمَةِ والنُّصرةِ والوفَاءِ و الاسْتقامَةِ** [65].

خاتمة

تناولنا في هذه الدراسة كيفية مقاربة نص تراثي عربي؛ والمتمثل في رسالة ديوانية باستعمال بعض آليات المنهج التداولي، وقد خلصنا إلى النتائج التالية:

1- للرسالة الديوانية خصائص تميزها عن باقي الخطابات النثرية الفنية مثل البنية النصية المكونة لها.

2- للسياق دور كبير في إجلاء المعنى العام للخطاب وهذا ما أكدت عليه البلاغة العربية قديما واللسانيات حديثا (خاصة في علمي الدلالة والتداول) وهو ما لمسناه عند كل من :"هايمس" و"فيرث"، وقرايس"، و"براون و يول" و"فان ديك" لو لم نلم بكافة المعلومات المتعلقة بالسياق التى كتبت فيه هذه الرسالة لما استطعنا الوقوف على سر اختيار طبيعة اللغة المكتوبة بها.

3- استعمل الخليفة إستراتيجيات مختلفة ليضمن تأثيره على متلقيه، كالإستراتيجية الإفهامية، والإستراتيجية التوجيهية، والإستراتيجية الحجاجية.

4- من خلال هذه الدراسة المتواضعة تتضح لنا مناسبة ونجاعة المقاربة التداولية للنص التراثي

العربي؛ لأنّها تحييه، وتستنطق كنهه، وتلج أغواره، وتفتح باب أسراره.

5- تبقى الرسالة الديوانية في حاجة إلى التفاتة الدارسين والمحللين؛ لأنّها من النصوص التراثية الغنية بالمسائل اللغوية المتنوعة، نعد بالعودة إليها في مساحات بحثية قادمة بإذن الله تعالى .

الهوامش

1- رابح لعوبي، مضامين الرسائل السياسية في القرن الثاني والثالث للهجرة، مطبعة المعارف، عنابة، الجزائر، ط1، 2003، ص19.

2- طه عبد الرحمن، تحديد المنهج في تقويم التراث، المركز الثقافي العربي، الرباط، المغرب، 1998، ص16 وص243.

3- طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، ط1986، بيروت لبنان، ص 16 ومايليها .

4- جيلالي دلاش، مدخل إلى اللسانيات التداولية، ترجمة محمد يحياتن،ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، نوفمبر 1992، ص57 .

5- نعمان بوقرة، المدارس اللسانية المعاصرة، مكتبة الآداب القاهرة 2003 ص105.

6- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب (مقاربة لغوية تداولية)، دار الكتاب الجديد المتحدة، طرابلس، ليبيا، ط1، ص37.

7- هنريش بليث ، البلاغة والأسلوبية ,نحو نموذج سيميائي لتحليل النص، ترجمة : محمد العمري إفريقيا، الشرق، المغرب، 1999، ص 100

8- أبو الحسن علي الآمدي، الإحكام في أصول الأحكام، دار الكتب العلمية، بيروت 1980 ص136.

9- احمد المتوكل، الوظيفة بين الكلية والنمطية، دار الأمان للنشر والتوزيع الرباط، ط1، 2003، ص22.

10- احمد المتوكل، مرجع نفسه ص22.

11- موسوعة كشاف، اصطلاحات الفنون و العلوم، تح : علي حروج مراجعة رفيق العجم، مكتبة لبنان ناشرون، ط2، 1996 بيروت لبنان، ج1، ص 749، 750.

*هو أول من استعمل مفهوم الخطاب في الدراسات اللسانية الحديثة اذ وسع التحليل اللساني إلى ماهو أكبر من الجملة ينظر : سعيد يقطين تحليل الخطاب الروائي، المركز الثقافي، الدار البيضاء، ط3، 1997 ص 17 .

12- دروس في الالسنية .تر: صالح القرمادي، محمد الشاوش، محمد عجينة،الدار العربية للكتاب، تونس، ص 30ومايليها.

13-dictionnaire de linguistique, Jean Dubois .La rousse 2002, paris p 151.

14- سعيد يقطين، تحليل الخطاب الروائي ص 19.

15- ينظر دومينيك مونقانو، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب تر : محمد يحياتن، منشورات الاختلاف ط1 2005 ص35.

**ينظر : محمد خطابي، لسانيات النص مدخل إلى إنسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، بيروت ط 1991،1.

16- يعرف بوصفه واحدا من ثلاثة :- أكبر من الجملة

- استعمال وحدة لغوية.
- ملفوظ .

أكبر من الجملة ← الاتجاه الشكلي ← النسبية

استعمال وحدة لغوية ← الاتجاه الوظيفي ← الوظيفة [اللغة + السياق+ عناصر الخطاب]

تقاطع الاتجاهين [البنية + وظيفة] .

17- حسين عيون ،الدليل المنهجي في المراسلات الإدارية ونماذج الأعمال القضائية ،مطبعة الوفاق الجزائر 2004 ص 14.

18- حسن إبراهيم حسن و علي إبراهيم حسن ، النظم الإسلامية،مكتبة النهضة المصرية، 1970 م.

***فقد كان الرسول – ص–" يدير أمور الدولة بمعاونة أصحابه وكان كل منهم يقوم بالعمل الذي يكلفه به دون أن تكون لهم أماكن محددة تسمى دواوين " ينظر : حنا الفاخوري ، تاريخ الأدب العربي،المكتبة البوليسية،لبنان دار الأصالة ،الجزائر ط12، 1987، ص365.

19- حنا الفاخوري، المرجع نفسه، ص366 وما يليها.

20- نفسه، ص367

21- رابح لعوبي، مضامين الرسائل السياسية في القرن الثاني والثالث للهجرة، مرجع سابق، ص 74.

22-Marie Noëlle- Gary prieur : les termes clés de la linguistique éditions du seuil, octobre 1999 p44.

**** الطبري أبو جعفر بن جرير، تاريخ الأمم والملوك، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، ج7، 1939، ص402– 404.

23- فاضل السامرائي، الجملة العربية [تأليفها وأقسامها] دار الفكر، عمان، ط1، 2003، ص 63.

24- صائل رشدي شديد، عناصر تحقيق الدلالة في العربية دراسة لسانية، دار الأهلية للنشر والتوزيع، المملكة الأردنية الهاشمية، ط1، 2004، ص 172.

25- عبد الهادي بن ظافرالشهري، استراتيجيات الخطاب (دراسة لغوية تداولية) ص .41

26- المرجع نفسه، ص 41 ومايليها.

27- براون ويول، تحليل الخطاب، ترجمة وتعليق محمد لطفي، الزليطي ومنير التريكيّ ، جامعة الملك سعود، الرياض، 1997، ص280.

28- براون ويول، تحليل الخطاب : ص 280 .

29- جون جوزيف وآخرون، أعلام الفكر اللغوي (التقليد العربي في القرن 20) تر:أحمد شاكرالكربي، دار الكتاب الجديد المتحدة، طرابلس، الجماهرية الليبية العظمى، ج2 ، ط1، 2006، ص 110.

30- الجرجاني، دلائل الإعجاز،تحقيق محمد رضوان الداية وفايز عبد القاهر، دار قتيبة، سوريا، ط1، (1983/1403) في باب المعنى، ص 184 ومايليها .

31-Paul Grice : studies in the way of works, Harvard university press Cambridge, use p26.27.

32- ينظر: نص الرسالة ص7

33- أعلام الفكر اللغوي، مرجع سابق ص 101 (فصل عن فيرث)

34- سالم شاكر، مدخل إلى علم الدلالة، ترجمة محمد يحياتن، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص 31 .

35- سمير عالية، علم القانون والفقه الإسلامي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1991.

36- محمد محمد يونس علي، مقدمة في علم الدلالة والتخاطب، دار الكتاب الجديد، طرابلس، ليبيا 2004، ص 78.

37- براون ويول، تحليل الخطاب ص 37 .

38- محمد خطابي، لسانيات النص ص 52.

39- فان ديك، النص والسياق(استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي) تر عبد القادر قنيني، افريقيا، الشرق، الدار البيضاء، المغرب، د ط ،1991، ص 258 .

40- ناصر المبارك، الظاهر اللغوي في الثقافة العربية، دراسة في المنهج الدلالي عند العرب، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، عمان، الأردن، ط1، 2004، ص 212.

41- طه عبد الرحمن، اللسان والمنبران، ص 255.

42- رحيمة شيتر، تداولية النص الشعري(جمهرة أشعارالعرب نموذجا) رسالة دكتوراه، السنة الجامعية (2009/2008) جامعة الحاج لخضر، باتنة، ص 19.

43- ينظر: نص الرسالة ص6 .

44-حسان الباهي، الحوار ومنهجية التفكير النقدي، دار إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، 2004، ص 118.

45- ينظر : نص الرسالة ص7 .

46- ينظر: نص الرسالة ص7.

47- ينظر: نص الرسالة ص6 .

48- حسان الباهي، المرجع نفسه، ص 119.

49-ينظر: نص الرسالة ص7.

50 - ينظر: نص الرسالة ص6.

51- الجرجاني، دلائل الإعجاز، تقديم محمود محمد شاكر، ط2004/5، ص 575 .

52- حسن المصدق، أسس علم التواصل في الفكر اللساني المعاصر، مجلة الفكر العربي،مركز الإنماء القومي بيروت، لبنان ع 25، س 2005، ص 92.

53- ينظر : نص الرسالة ص7.

54- عبد الجليل ناظم، البلاغة و السلطة في المغربّ،دار توبقال للنشر، ط1، 2002، ص 57.

55- ينظر: نص الرسالة ص6 -7 .

56- حسان الباهي، الحوار ومنهجية التفكير النقدي، ص .107

57- السكاكي أبو يعقوب يوسف، مفتاح العلوم، تحقيق عبد الحميد الهنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2 /2000، ص248.

***** عز الدين العلام، الآداب السلطانية،دراسة في بنية وثوابت الخطاب السياسي، المطابع الدولية، الكويت (1427-2006) ص 120-121 .

58- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب ص 342 .

59- نفسه، ص 227.

60- طه عبد الرحمن، اللسان والميزان، ص 259.

61- أبو بكر العزاوي، نحو مقاربة حجاجية، مجلة المناظرة، المغرب، ع1991/4، ص 78.

62- عبد السلام عشير، عندما نتواصل نغير(مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج)، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2006، ص 142.

63-.ينظر: نص الرسالة ص7 .

64- حسان الباهي، الحوار ومنهجية التفكير النقدي، ص 218.

65- ينظر: نص الرسالة ص6 .

***المصادر**

1- أبو الحسن علي الآمدي، الإحكام في أصول الأحكام، دار الكتب العلمية، بيروت 1980.

2- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تحقيق:محمد رضوان الداية وفايز عبد القاهر، دار قتيبة، سوريا، ط1 (1983/1403).

3- حنا الفاخوري: تاريخ الأدب العربي، المكتبة البوليسية،لبنان دار الأصالة، الجزائر، ط12، 1987 .

4- السكاكيأبو يعقوب يوسف، مفتاح العلوم، تحقيق عبد الحميد الهنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 2000.

5- الطبري أبو جعفر بن جرير، تاريخ الأمم والملوك، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، ج7،1939، ص402-404.

***المراجع:**

1- أحمد المتوكل، الوظيفة بين الكلية والنمطية، دار الأمان للنشر والتوزيع، الرباط، ط1، 2003.

2- براون ويول، تحليل الخطاب: ترجمة وتعليق: محمد لطفي، الزليطي ومنير التريكي، جامعة الملك سعود، الرياض 1997.

3- جيلالي دلاش، مدخل إلى اللسانيات التداولية، ترجمة محمد يحياتن، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، نوفمبر 1992.

4- عبد الجليل ناظم، البلاغة والسلطة في المغرب، دار توبقال للنشر، ط1، 2002 .

5- حسان الباهي، الحوار ومنهجية التفكير النقدي، دار إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، 2004.

6- دومينيك مونقانو، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب تر: محمد يحياتن، منشورات الاختلاف، ط1، 2005 .

7- رابح العربي، مضامين الرسائل السياسية في القرن الثاني والثالث للهجرة، مطبعة المعارف، عنابة، الجزائر، ط1، 2003.

8- سعيد يقطين، تحليل الخطاب الروائي، المركز الثقافي، الدار البيضاء، ط3-1997 .

9- صائل رشدي شديد، عناصر تحقيق الدلالة في العربية دراسة لسانية، دار الأهلية للنشر والتوزيع، المملكة الأردنية الهاشمية، ط1، 2004.

10- طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي،المركز الثقافي العربي، ط1، 1996، بيروت لبنان.

11- فان ديك، النص والسياق(استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي) تر:عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، د ط، 1991.

12- فاضل السامرائي، الجملة العربية [تأليفها وأقسامها] دار الفكر، عمان ط1، 2003.

13- عزالدين العلام، الآداب السلطانية، دراسة في بنية وثوابت الخطاب السياسي المطابع الدولية، الكويت(1427-2006).

14- محمد خطابي، لسانيات النص(مدخل إلى انسجام الخطاب)، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1991،2.

15- محمد محمد يونس علي، مقدمة في علم الدلالة و التخاطب، دار الكتاب الجديد طرابلس، ليبيا، 2004، ص 78.

16- ناصر المبارك، الظاهر اللغوي في الثقافة العربية (دراسة في المنهج الدلالي عند العرب)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، عمان، الأردن، ط1 /2004

17- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب (مقاربة لغوية تداولية) دار الكتاب الجديد المتحدة، طرابلس، ليبيا، ط1.

18- هنريش بليث، البلاغة والأسلوبية، نحو نموذج سيميائي لتحلل النص،ترجمة : محمد العمري، إفريقيا الشرق، المغرب، 1999.

المراجع الأجنبية:

1- JEAN DUBOIS : dictionnaire de linguistique la rousse 2002, paris.

2- MARIE NOELLE- GARY PRIEUR : les termes clés de la linguistique éditions du seuil, octobre 1999.

3- PAUL GRICE: studies in the way of works, Harvard University press Cambridge.